ويبدأ ذلك من مطلع قصيدة المتنبي:

في الخد أن عزم الخليط رحيلا
مطر تزيد به الخدود محولا

هذا مطر مختلف، إنه مطر لا يبعث الخصب ولكنه يزيد المحول والجدب.

وكما أن المطلع يتحرك من دلالة (الاختلاف) ومن مبدأ (المفارقة) الدلالية في مطر المحول، فإن النص حينما يدخل في حادثة الأسد يأخذ بأطراف هذه اللعبة النصوصية المتطورة، وهي لعبة (الشبيه المختلف). فالرجل يشبه الليث ويختلف عنه في آن واحد، إنه مثل الأسد في إقدامه، ولكنه يختلف عنه بأنه كريم والأسد ليس كذلك. فالأسد حينما اقترب منه بدر بن عمار يبربر دون فريسته ونظر إلى الرجل على أنه متطفل. وهذا شحّ في التصرف وشحّ في الظن لا يرضاه المتنبي لممدوحه، ولكنه يرضى له الإقدام الشجاع الذي يتماثل فيه مع الأسد:

ألقى فريسته وبربر دونها
وقربت قربا خاله تطفيلا
فتشابه الخلقان في إقدامه
وتخالفا في بذلك المأكولا

هذان المتشابهان المختلفان هما الممدوح بدر بن عمار والممدوح الآخر الذي هو الليث الهزبر. أما البحتري فإنه قد قلّل من شأن الأسد مثلما قلّل من شأن ممدوحه فكأنه قد ذمّ الاثنين معاً، وقد أراد مديح الرجل منهما. ولقد وحد بين الرجل والأسد وجعلهما متطابقين حيث صارا (ضرغامين) في قوله: